لكنه لم يستمر، يبدى فيروز إعجابه بالإيقاع الخاص باللغة اليونانية، خاصة جرسها، وكثيراً ما يردد العجوز.

«والله أنت فى مقام ابنى..»

أول مرة صحب زهران بك، أشار إليه

«أوصيك برئيسى المباشر.. لكنه قبل ذلك رجل طيب..»

كان ابنه يقف عاقداً يديه وراء ظهره، بدا ملولاً، غير راغب فى البقاء، تحدث عن تغير السوق، عن المنافسة غير المتكافئة بين المحلات الصغيرة والشركات الكبرى التى بدأ إنتاجها يغزو السوق، الماكينة الحديثة تنتج يوميًا مئات الأزواج، صحيح أنها ليست بنفس المتانة، لكنها أرخص، قال لو أن والده ادخر ما استثمره فى الصنعة لعادت عليه فائدة البنك بمبلغ أوفر وأكثر مما ربحه، لكنه أحب مهنته وتفنن فيها بعد شهرين أخبره فيروز بأسى عن توقف الشاب عن العمل.

بدأ يستعد للرحيل، عرض منتجات الشركات الجديدة فى الدكان، لكن زبونه القديم لم يقبل، والجديد لا يعرف طريقه إلى هذا المحل الصغير المتوارى، هاجر إلى اليونان، أرسل إلى فيروز بطاقة من فندق صغير بإحدى جزر بحر أيجه يعمل به، ثم انقطعت أخباره.

يذكر أسى فيروز؛ إذ يستعيد الرجل الكبير ويترحم عليه، أمثاله فى انحسار، الدنيا تتغير، والمؤسسة لا تقوم بواجبها تجاه هؤلاء النادرين، لو الأمر بيده لأقدم على شراء هذا المحل ودفع بمن يتعلم أصول الصنعة من اليونانى قبل رحيله.

زهران بك لم يكن أقل حزنًا، لكنه لم يفض إلى فيروز بدخائله، إنه